

الأغنية الشعبية الجزائرية دلالتها، أنواعها وخصائصها

The Algerian folk song its meaning , its types and characteristics

آسيا منصورية
جامعة الحاج لخضر باتنة 1

البريد الإلكتروني: assiamansouria2020@gmail.com

تاريخ النشر: 2024/06/01 تاريخ القبول: 2024/05/15 تاريخ الإرسال: 2024/02/15

ملخص:

يشكل الأدب الشعبي جزءاً أساسياً من تراثنا العربي، حيث تبوأ مكاناً هاماً في الدراسات الفلكلورية بوصفه الموروث الثقافي الأكثر قدرة على حفظ التراث من خلال أشكاله الأدبية المعبرة عن آلام وآمال وتقاليد الشعوب، وتعكس واقع المجتمع الجزائري بمستوياته المختلفة.

وتتمثل هذه الفنون التعبيرية الشعبية في المثل، النادرة، الأسطورة والحكاية والأغنية باعتبارها أبرز الفنون الشعبية التي ساهمت بشكل فعال في ربط ماضي الشعب بحاضره، مدونة لأحداثه، حافظة لطقوسه وشاهد على تاريخه، نظراً لكونها ترنيمات شعبية قيلت بلهجة عامية، تردد في كل الأوقات ولا غنى عنها في المناسبات ، وقد غلب عليها طابع الشفوية مما جعلها قابلة للتغيير والزيادات و عرضة لكثير من التعديلات .

ومن هذا المنطلق ستسعى هذه الورقة البحثية لاستكمال حلقات الحفر عن جذور هذا الفن بداية بالوقوف على مفهوم الأغنية الشعبية، مروراً إلى ذكر أنواعها مرفوقةً بنماذج من الأوساط الشعبية التي لم تترك فيها النسوة مظهرها من مظاهر الحياة إلا وقلن فيه عدة أغاني، وصولاً إلى حصر خصائصها التي تميزها عن باقي أشكال التعبير الشعبي.

الكلمات المفتاحية: الأغنية، الشعبية، المفهوم، الأنواع، الخصائص.

summary:

Popular literature constitutes an essential part of our Arab heritage, as it occupies an important place in folklore studies as the cultural heritage most capable of preserving heritage through its literary forms that express the pain, hopes and traditions of peoples and reflect the reality of Algerian society at its various levels.

These popular expressive arts are represented in the rare proverbs, legend, tale and song as the most prominent folk arts that contributed effectively to linking the people's past with their present, recording their events, preserving their rituals and witnessing their history, given that they are popular chants spoken in a colloquial dialect, repeated at all times and indispensable. It was reported on occasions, and it was dominated by an oral nature, which made it subject to change and additions and subject to many modifications.

From this point of view, this research paper will seek to complete the excavation sessions on the roots of this art, beginning with standing on the concept of folk song, passing through mentioning its types accompanied by examples of popular circles in which women did not leave any aspect of life without saying several songs in it, leading to an inventory of its characteristics that distinguish it from other forms of popular expression.

genres, characteristics ,Keywords: song, popular, concept

مقدمة:

لا يختلف اثنان أن الأغنية الشعبية من بين أعرق الطبوع التراثية الأكثر رواجاً وانتشاراً في الساحة الشعبية لكونها استطاعت أن تستميل قلوب الأفراد، وتلفت انتباههم وتستحوذ على أسماعهم، وتعبّر عن طموحاتهم وأفكارهم لتخلق بهم في سماء الطرب عبر جنانحين؛ أحدهما الصوت وثانيهما الإيقاع .

الإشكالية: وتماشياً مع ما تم ذكره نطرح الأسئلة التالية:

- ما مفهوم الأغنية الشعبية؟ وما هي المواضيع التي تطرقت إليها حتى صنفتم ضمنها إلى أنواع؟

- وفيما تتمثل خصائصها التي تميزها عن باقي الفنون الشعبية القولية؟

الفرضيات: نفترض أن تلقى الفنون الشعبية إقبالا من طرف المتلقين المعاصرين، وكذا الدارسين وتطبيق مناهجهم الحديثة عليها، بعد كثرة دراستها وتشهيرها.

الأهداف: تهدف هذه الدراسة إلى:

- تسليط الضوء على هذا الفن الشعبي، والبحث في حيثياته، واستخلاص ميزاته التي ينفرد بها عن باقي الفنون الشعبية القولية.

- جمع الأغاني الجديدة وتصنيفها حسب دواعي استعمالها أو المناسبات التي تُغنى فيها.

المنهجية: لا تخلو أي دراسة من منهج، باعتباره المنارة التي تأخذ على عاتقها السير بالبحوث نحو الاتجاه الصحيح والتنظيم المحكم لذلك ارتأينا الاستعانة بالمنهج الموضوعاتي في عمارة نسج خيوط هذه الورقة البحثية، بداية بالتنظير للأغنية الشعبية ثم جمع الأغاني وتصنيفها ومن ثم تحليلها، وصولاً إلى استخلاص خصائصها بعدما اتضحت معالم الدراسة واقتربنا من الوصول إلى خط النهاية.

1- مفهوم الأغنية الشعبية :

حظيت الأغنية الشعبية باهتمام بالغ من قبل الباحثين، وكل المهتمين بالفنون الشعبية عربا كانوا أم غربا، وهذا الاهتمام نتج عنه كثرة الدراسات التي جعلت حصر مفهوم شامل وجامع للأغنية الشعبية أمرا عسيرا للغاية، لهذا سنكتفي بالاشتقاق الذي أورده أبو بكر الرازي في صحاحه لما قال: "الأغنية كالأحجية (الغناء) والجمع (الأغاني).و(الغناء) بالفتح والمَد النَّفْع.وبالكسر والمَد السَّماعُ" (محمد بن أبي بكر الرازي، 2015).

هذا بالنسبة لاشتقاقها اللغوي، أما من الناحية الاصطلاحية فهي تعني "كلمات مرردة تستوعبها جماعة حافظة تتناقل أداها شفاهة، وتصدر في تحقيق وجودها عن وجدان شعبي" (مرسي، 1968)، وما يميز الأغنية الشعبية أنها شفوية تتناقل بالسماع وتُحفظ بسهولة، إذن "فالأغنية الشعبية في أدق تفاصيلها عملا فرديا ولكنها تصاغ في غاية من البراعة حتى في أشد صورها تركيبا حتى لتوحي إلى أي فرد من أبناء المجتمع بأنها إنما تخصه وحده دون غيره"، والشعب هو الذي "يردها، ويستوعبها ويتناقلها، وتصدر عن وجدانه وتعبّر عن آماله، وليس شرطاً أن يكون الشعب هو مؤلفها، بل تبناها من مؤلفها الأصلي المجهول فأصبحت ملكا للشعب كله" (أكرم رافع نصر)

وبالتالي فالأغنية الشعبية هي ذلك الفن القولي الذي يكون على شكل ترنيمات شعبية تجمع بين الكلمات العذبة والمعاني الصادقة، والأحاسيس المرهفة والأساليب المباشرة، تعكس حياة الشعوب سياسيا وفكريا واجتماعيا وثقافيا، وتعبّر عن أفكارهم وعاداتهم وتقاليدهم وأفراحهم ومآسيتهم وطبقاتهم، ويؤديها الرجال والنساء على حد سواء.

2- أنواع الأغنية الشعبية: تتعدد أنواعها بتعدد وظائفها، واختلاف وجهات الباحثين والمهتمين بها، وفي هذا المقام سنوجزها فيما يأتي :

1-الأغنية الدينية: وهي تلك الأغنية التي تتناول حياة النبي محمد، فتعدد صفاته تارة، وتشيد بأخلاقه وتذكر معجزاته تارة أخرى، كما تتعداه إلى الحديث عن أولياء الله الصالحين أو التضرع للخالق عز وجل، والزهد عن الملذات الدنيوية في الوقت ذاته، كما تتناول أيضا موضوع الحج أو العيد، أو غيرها من الموضوعات التي تصب في الجانب الديني، ومن بين النماذج التي تتطوي ضمن هذا الصنف نجد:

1-1- أغنية المولد النبوي الشريف: وفيها يحتفل الشعب بهذه المناسبة الجليلة بإعداد أشهى الحلويات، وأذ المأكولات ويشعلون الشموع ويجمعون للاحتفال، واستذكار سيرة الرسول عليه الصلاة والسلام والنساء في نهاية الحفلة يخضبن أيديهن وأرجلهن بالحناء، وهن يرددن مجموعة من الأغاني التي تتحدث عن سيد الخلق محمد صلى الله عليه وسلم ومن أبرزها قولهن:

يا عيشة لا ترقدي يا عيشة لا ترقدي حلي الباب وتسنطي واللييلة يزيد
النبوي
صلي الله على النبي الرسالة جات عليه اللي رباتو لالة حليلة الشفاعة ليه
(عاشور سرقة)

فهذه الأغنية تمدح الرسول صلى الله عليه وسلم وتوضح أن ولادته تختلف عن سائر البشر، فهو خيرهم وشفيعهم ونور فوق الأرض، هذا بالإضافة إلى أغنية أخرى تغنيها النساء إذ يقلن في مطلعها :

هذا مولد محمد قاع الناس تحتفل بيه الشمس والقمر أو ما خلق الله
تبتشر بيه
تم الأهوال نختمو بصلاة انبيينا نطلبوا الله العام الآتي يلقينا
يتضح من كلمات الأغنية أن محبة النبي عليه الصلاة والسلام لم ترتبط
بالناس فقط بل حتى الجمادات في غاية سرورها منذ قدمه للدنيا.

1-2- أغاني الحج : لقي الحج باعتباره الركن الخامس من أركان الإسلام اهتماما في الأوساط الشعبية، نظرا لمكانته وقديسيته عند الله عز وجل، إذ يحتفل الناس بذهاب الحجاج لزيارة بيت الله وحتى بإيابهم، ويغنون عدة أغاني عن هذه الشعيرة الدينية من بينها قولهم :

اللي مشا أوزار الكعبة ربي أوفى مرادو
على سلامتو والحمد لله جا لبلادو
لا يحرم مسلم ما أوقف في عرافا
جاه رسول الله وأصحاب الوفا
المال ما يدي غير قدرة الله

ماشي انزور سيدي رسول الله (عاشور سرقمة)

هذا بالإضافة إلى هذه الأغنية التي تغنى أثناء عودة الحجاج من زيارة الكعبة الشريفة :

الحج حجبنا والصلاة صلينا أو لمقام زرنه مولاي محمد
ارحمني يا الله وارحم والدي واللي رباوني واجراو علي
وارحمني يا الله وارحم شبابي شبابي يفنى تحت التراب (عاشور
سرقمة)

فحين عودة الحجاج يستقبلهم أهاليهم بالرقص والغناء معبرين من خلالهم عن فرحهم بعودتهم سالمين إلى ديارهم، فهذه الأغنية في بيتها الأول تتحدث عن الحج ثم تتعداه في بيتها الثاني للحديث عن طلب الرحمة له ولوالديه اللذين ربياه وضحيا بالنفيس لأجله .

2- أغنية الأفراح: تعلن شعائر السرور بقدوم الأفراح باختلاف أنواعها وتعدد أشكالها ليتم الاحتفال بذبح الأغنام، وإعداد الطعام وقرع الطبول والدربكة والزغاريد والغناء باعتباره محرك أفراح الشعوب ومترجم أفراحهم، وينقسم غناء الأفراح حسب دوره ونوعه إلى:

2-1- أغنية النفاس: وتغنيها القابلة أو إحدى النسوة اللواتي يجلسن بقربها ويساعدنها في رعاية الصبي .

يا لوليد يا لوليد اللي ولدك ما زال يزيدي
اللي تضني بوشاشية نرضى لها اللحم طريا
نرضي لها لحم الخرفان نرضى لها مسلان مفور
نرضى لها كسكاس محور نرضى لها لخراص معمر
نرضى لها لخدديم أوصيف نرضى لها لفراش أنظيف

تحمل كلمات هذه الأغنية معاني التطلع إلى مستقبل أفضل بفرح وأمل وطموح، ورغبة جامحة في التخلص من الفقر والذل .

2-2- أغنية الختان: فالختان عملية شعائرية عريقة، وموغة في القدم، تخص الذكور وتغنى فيه عدة أغاني على لسان والددة الطفل المختون من بينها قولها:

طهر يا لمطهر صحه ليديك لا تجرح أوليدي لا نغضب عليك

طهر يا لمطهر، وطهر فالقصعة طهر لوليدي هذا ما نسعى
طهر يا لمطهر طهر بالنظر لا تجرح أوليدي باباه ما حضر
طهر يا لمطهر طهر في حجري طهر لوليدي ويعشي يجري
طهر يا لمطهر طهر في النهار طهر لوليدي وعمامو حضار
تحمل هذه الأغنية معاني الرجاء والإصرار الشديد في طلب الأم من الطبيب
أن يعامل صغيرها برفق، كي لا يجرحه لأنها لا تملك غيره، وإن تأذى سوف تغضب
عليه، خاصة في غياب أبيه، ثم تقول في أغنية أخرى حول الموضوع نفسه:

طهر يا الطهار طهر لوليدي وإن شاء الله يبرى هذا ما عندي
فرحو لميمتوا لبسولو البرنوس وإن شاء الله يكبر دخلولو لعروس
فرحو لميمتو ولبسولو لامود والحنة تواتيه، وعرضو عمتو وخالاتوه
فالختان أولى الاحتفالات التي تخص الذكور، ومن خلاله تتأمل الأمهات خيرا في
مستقبل أبنائهن .

2-3 - أغنية الزواج: إذا كان الزواج هو اللبنة الأولى في المجتمع، فإنه من
الضروري تعظيم أمره وإعلاء شأنه، وذلك بإقامة الولائم وتوزيع الأطعمة والاحتفال
به بالرقص والغناء من كلا الطرفين، فنجد أهل العريس يغنون هذه الأغنية في
أعراسهم بكثرة :

هاي لالي لالي هاي لالي لالي
وبلّو الحنة، وبلوها في طبسي زجاج
ولعروسة لبست الجهاز
هاي لالي لالي هاي لالي لالي
وبلو الحنة، وبلوها أمّا فالريديو
ولليدي خيرها بيدو

هاي لالي لالي هاي لالي لالي

وبلو الحنة، وبلوها أمّا في القصعة

ووليدي هذا ما نسعى

وتضيف راوية الأغاني الشعبية إلى جانب هذه الأغنية الجميلة أغنية أخرى أجمل
بكثير، نقول فيها:

مايدة فوق مايدة، مايدة المنقوشة

في عرس وليدي شربة وبربوشة

مايدة فوق مايدة، مايدة لعلاية

في عرس وليدي كثروا الغناية

مايدة فوق مايدة، مايدة لعلاوي

في عرس وليدي كثرو لقهاوي

مايدة فوق مايدة، والسيني لمشرف

في عرس وليدي باباه يصرف

والطاكسي البيضاء تمشي وتبقص

عروستي تركب ووليدي يخلص

وفي جو تسوده البهجة والاحتفال تردد النسوة هذه الأغاني وهن منقسمات إلى
فئتين، فئة تغني المقاطع الرئيسية والمتكررة، وفئة أخرى تسترسل في غناء المقاطع
الثانوية متبوعة بإيقاعها ولحنها الخاص.

3-أغنية العمل: وهي بدورها تصور جانباً من جوانب الحياة المتعددة، وقد جاءت
للضرورة القصوى لأن الإنسان العامل يبذل مجهوداً كثيراً في سبيل تحصيل قوته، كما

أنَّ الوقت الذي يمر على العامل مضني وطويل بالنسبة إليه، عكس الخامل الذي يقضي معظم أوقاته في الراحة والنوم، ولا يحس بالوقت المستغرق أو المتبقي.

والعامل وهو يقوم بعمله يحتاج إلى أغاني قد يغنيها أثناء عمله فيستريح ويخفف بها من تعبهِ ويزيل مله.

قم يا خويا الفلاح الصابة راهي جات

قم احصد ترتاح وقت الشدة فات

المنجل جديد لك وعندك راه يفوت عليك

من خير ربي يعطيك الصابة راهي جات

المنجل جديد وماضي والفرح على وجهك بادي

والمحصول النادر غادي الصابة راهي جات

الملاحظ أن هذه الأغنية قد خصصت لهؤلاء العمال الذين يقومون بعملية زرع الأرض، وحرثها وخدمتها، وانتظار موعد الحصاد بكل لهفة وفرحة، وبما أنه عام أنعم فيه الله الخير والصابة (البركة) فالضرورة سوف يكون المحصول وفير وكم هي كثيرة هذه الأغاني التي كانت تحفز العمال، وتشيد بالعمل النافع مثل قولهم:

الله الله أبو طيبة داويني

حالي مضرور قولو يعزم ويجيني

شبان صغار طاحو في زرع مخبل

حصدوه غمار صلى الله على محمد

حالي مضرور أبو طيبة داويني

كي عييت أنايا ننده بك أجدي

أي حمات القايلة واحمى المنجل في السبول

كن أعيت أنايا ننده بك أيا الرسول

سلطان لالا دالية

أي حمات القايلة

فهذه الأهازيج تردد مرات عديدة من قبل جماعات يجمعهم عمل واحد ومكان واحد، فترفع من معنوياتهم، وتبث روح النشاط في نفوسهم، وتخفف عنهم جهدهم المبذول في عملية حصاد الأرض.

4-الأغنية الثورية: أرخت هذه الأخيرة لمعاناة الجزائريين إبان الاحتلال وللتضحيات الجسام التي قدمها المجاهدين، كما حكّت عن بطولاتهم ومعاركهم التي خاضوها في سبيل تحرير وطنهم ،أضف إلى ذلك مساهمتها في استثارة الهمم بين الثوار، وبث الروح الوطنية لديهم ودعمهم ورفع معنوياتهم وتحفيزهم على مواصلة مسار الكفاح والمقاومة.

تهز الموتى تحط فالحين

طيارة يا أم جنحين

حاروا فيها القبطيين

هذي حرب المجاهدين

أعطوني ليلة ونهار

الشافات يا لكبار

الكبدة شعلت بالنار

خلينا لولاد صغار

المجاهدون مُلئت قلوبهم ايمانا وثقة في الله عز وجل ومستقبلهم أمل في النصر، وفوز الحق على الباطل، وهذا ما جعل الثورة ترتبط بالدين إلى حد ما، تقول المجاهدة :

نحيو الخبيث تولى الدولة اسلامية

دورناها بالدوار وسيرناها بالسيار

أحنا دولة شجعية

فرنسا يا لغدارة أحنا ماناش نصارى

شاركنا في الوطنية

اللي تحب لافريك دي نور

تاع الدولة الإسلامية

دافعوا على درابو المنصور

بما أن الجهاد في سبيل الله مبتغاهم، فإن أفواههم لا تكف عن التكبير والدعاء ومناجاة الله القادر على كل شيء.

وتقول في أغنية أخرى:

قال جات من عند الفسياس

جانا مرسل القايد ببرية

كي اقراها بقات الأمة تتوحد تتلطف وتقول استر يا رحمان
قالوا جات اليوم قوانين جدد حكم شرع جديد ما راته لعيان
اللي يحب يعيش لفرنسا يسجد واللي يقول علاش ينفوه الكيان

فالمجاهد الجزائري بفطرته يرفض الذل والخضوع لسياسة فرنسا الغاشمة، ويسعى للدفاع عن بلده والحفاظ عن أسسه ومقوماته، وقد وقفت إلى جانبه المرأة تساعده ولو معنويا وذلك برفع راية الاسلام ونشر تعاليمه، واعلاء قيمته وتأليف أغاني تحمل مفردات الخير والمنفعة والبطولة وترمي إلى تهذيب النفوس واصلاحها، فنجدها قد تحدثت كثيرا عن حب الوطن والتضحية لأجله، وشجاعة المناضلين وإصرارهم لبلوغ هدفهم المتمثل في تحقيق الاستقلال.

3- خصائص الأغنية الشعبية:

بعد التطرق لمفهوم الأغنية وأهم أنواعها، حري بنا أن نستشف جملة من الخصائص التي تتمثل فيما يأتي:

- فن شعبي شفهي يتناقل عن طريق السماع، ويعتمد على اللحن.
- اللغة الفنية السهلة والواضحة وضوح دلالاتها وبساطة كلماتها ورقة أساليبها .
- التعدد والتنوع، إذ تناولت جل الموضوعات التي واجهت البشر.
- سهولة الحفظ وكثيرة التردد وسريعة الانتشار.
- مجهولة المؤلف وهو ما أكسبها صفة الشعبية.
- التعديل بالزيادة والنقصان بمعنى أنها تتغير أثناء تداولها عبر الأجيال، ولكن دون المساس بجوهرها.
- الصفة الجماعية حيث يستطيع أي شخص أن يغني أو يؤدي الأغنية مع الجماعة، وهذا لا يعني انعدام وجود الأغاني الفردية، بل توجد ولكن بنسبة أقل مقارنة بالغناء الجماعي.

-الطابع الوجداني والعاطفي، والمقصود به أن هذه الأغنية تنبع من القلب، وتجمع بين صدق المعاني ورهفة الأحاسيس أثناء تعبيرها عن كل ما هو مقدس، ومهم من تراث أي مجتمع.

خاتمة:

يمكن إدراج أهم النتائج التي توصلت إليها هذه الدراسة في العناصر الآتية :

- سيبقى الأدب الشعبي وجها من وجوه التراث الذي يعبر عن الحياة الشعبية بمختلف فنونه سواء أغنية شعبية أو قصة شعبية..وما إلى ذلك.

- الأغنية الشعبية هي متنفس الشعب إذ تصور جوانب حياته بآمالها وآلامها، وتطلعاتها وعاداتها.

- تصنيف الأغنية الشعبية إلى أنواع متعلقة من الدرجة الأولى بوظائفها.

- دقة وشمولية الأغاني الشعبية أدت إلى ذبوع صيتها وسهولة حفظها، أضف إلى ذلك انسجامها وعذوبة نغمها الموسيقي بالرغم من أن المرأة التي ألقتها لم تكن تعرف شيئا عن بحور الخليل بن أحمد الفراهيدي، ولم تدرس شيئا عن الأوزان أو القوافي.

قائمة المصادر والمراجع:

- أحمد مرسى. الأغنية الشعبية. الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر. القاهرة. 1968م.

- أكرم رافع نصر. الأغنية الشعبية في تراث جبل العرب. موسوعة جبل العرب. دط. دت.

- عاشور سرقة. الرقصات والأغاني الشعبية بمنطقة توات – مدخل للذهنية الشعبية – دار الغرب للنشر والتوزيع. دط.دت.

- محمد بن أبي بكر الرازي. مختار الصحاح. دار الكتب العلمية. بيروت. ط.1. 2015

